
البحر الاحمر
أزضافة الجغرافية والحوية
للصاغ عبد الرحمن زكي

عبرة السنة الاولى
من الحرب
الحمد الفاصل بين حضارتين

العراق الاحمر



البحر الأحمر

وأوصافه الجغرافية والحربية

للساغ عبد الرحمن ركي

أمين المتحف الحربي

تؤثر ثلاث مناطق هامة تأثيراً كبيراً من الناحية الاستراتيجية في قوة الإمبراطورية البريطانية ومدرة أفساسها على التناون . فالتنطقة الأولى تحيط بسواحل اسبانيا المطل على المحيط الأطلنطي . والثانية سواحل الصين الجنوبية . والثالثة البلاد المطل على البحر الأحمر الذي ترتطم أمواجه الهائلة على يزيد على ثمانمائة ميل من السواحل المصرية والسودانية . والبحر الأحمر ليس ميدان جديد من ميادين النشاط السياسي والحربي في الوقت الحاضر فإنه منذ العصور القديمة كان مبدأً مصرياً ثم صار بحيرة رومانية فخرية . وظل كذلك الى أن حل السليمان محل المهالك لنصرين بعد انتهاء دولة هؤلاء . ثم جاء دور المستعمرين الأوربيين من بادنقة وبرنابيين وفرنسيين

وحاول المنفرد له محمد علي باشا أن يستولي على منافذ البحر الأحمر الجنوبية وفي وراءها وسكن ذهب محاولته هباء أمام البريطانيين . فاستولوا على عدن سنة ١٨٣٧ ليؤمنوا الطريق الى الهند^(١) وأخيراً تسرب النفوذ الايطالي أيضاً الى هذا البحر . واستقر على سواحل ارتريا والصومال وبعض الجزر الصغيرة وصار يزاحم النفوذ البريطاني وينافسه في اليمن يبدأ البحر الأحمر في الانساع بعد خليجي السويس والعبق . ففي الشمال الغربي من شاطئه الأزهر المصرية والسودانية . وفي الشرق بلاد العرب الواسعة . وفي الجنوب تشرف عليه إمبراطورية تاهيتا تمد يداها من كينيا الى رودسيا . وفي جانب هذه الإمبراطورية تقع أفريقيا الشرقية الايطالية التي تشكلت من بلاد كات مستقلة وهي اثيوبيا وأخرى كانت تعرف عليها السبادة المصرية الشهيرة بل الايطالية كارتره والصومال الايطالي^(٢)

(١) في وقت محمد صاحب الهند . لا بد الخليل عمر حوسروني لغزو على ولاية سورجية لنهيج المنفور له محمد علي باشا عن حرب البحر من خليج الفارسي . وهذه الوثيقة مؤرخة في ٢٠ جمادى الثاني سنة ١٢٥٣ .
(٢) في ١٩ يناير ١٩٣٧ . في وقت سيمون لاندني مدق لاندني مؤلف لاختراع عدن وشاطئ اق حرها وثقة دم من حاكمه عتي . وقد تم ذلك كما هو معروف .

(٣) كانت مصر أول بلد اعترف بالمصريين باسمه في عام ١٨٨٣ . عندما سمحت إنجلترا بفتحها بعد سقوطها حرمها باستقلال بلع أو صومر و يالون فاشكلت صومر ل ٤ بولس ١٩٨١ .

ومن مجموع تلك الأقطارات تثبت القلعة الأفريقية الإيطالية الكبرى بمجهود موسوليني لم يعد البحر الأحمر ضرباً مائياً له قيمة من الناحية العسكرية حسب... بل أصبح في الواقع مركزاً لنطاق مجموعة من البلدان الشاسعة الخاصة بتحكم البريطان أو لقوذه. وهذه البلدان لا يمكن إسمائها بمقتضيات الموقف العسكري بعد ما طرأ على الأحوال السياسية من تحوُّل كبير إلى سيادته. فلم تعد اليابان أو إيطاليا أو اسبانيا في مجموعة الدول الصديقة لبريطانيا. وصار من الضروري إسبغاء قوات عسكرية للدفاع عن الهند والملايو واسبانيا لمقاومة أي تهديد توجهه اليابان أو إيطاليا أو روسيا إلى تلك الأجزاء الهامة من الامبراطورية البريطانية. وبهنا موقف إيطاليا بوجه خاص لاتصاله بالبحر الأحمر. فالعروف ان لهذه الدولة في أفريقية الشرقية الإيطالية ما يقرب من مائة الف جندي إيطالي ومائة وخمسين الفاً من القوات الوطنية بجانب جيش من الثمان الإيطاليين والسود. ومع هؤلاء الميليشيا المؤلفة من ٢٢ أورطة من رجال القمصان السود. خمس منها في أديس أبابا وعشرون بلوكاً للدفاع الرشاشة وسبع بطاريات ضد الطائرات وبطارية لمدفعية السواحل في مصوع ومتلها في موجديشيو. وجميعها مزودة بأحدث أسلحة القتال ولاسيما السلاح الجوي والمدفعية الثقيلة والذخبات. وهذه البلاد مجهزة بأحدث وسائل الدفاع المتبعة التي تطابق طبيعة الأراضي الوعرة. وقد جددت موانئ عصب ومصوع على ساحل البحر الأحمر وموجديشيو المطلة على المحيط الهندي. وعمت مياهها وجعلت مواقع حربية كبيرة كاحصنت الجزر المجاورة لها. وبالقرى من مصوع على خليج أسهل الذي يبلغ عرضه نحو عشرة أميال وعمقه إلى الداخل نحو ثلاثين ميلاً أعدت منطقة صالحة جداً لايواء القواصات وحصنت المنطقة بمدافع ضخمة مثبتة على الساحل والحرارة الملاصقة وأهمها «دهالكة»

إن الحرب الدائرة اليوم ستظهر نتائج الدور الذي تقوم به القواصات الإيطالية ضد السفن البريطانية المتجهة شرقاً أو غرباً. ولأربب في ان رجال البحرية الانكليزية يفتقدون جميع الأحوال التي تتصل بمياه أساطيلهم. ولاسيما مياه الشرقين المتوسط والأذن. وهم يعرفون تماماً سنى تأمين طريق القوقود الذي تنقله السفن الانكليزية من آبار الزيت الأبرانية عن طريق الخليج الفارسي. لأنه إذ لم يؤمن هذا الطريق الحيوي لم تجد تلك السفن غير الطريق البري الممتد بين الخليج الفارسي والعراق عبر صحراء سوريا إلى البحر الأبيض المتوسط وفرنسا في مياه البحر الأحمر جيوتي وهي وإن كانت واقعة خارج سفن البحر إلا أنها تعتبر عاملاً فعالاً من الناحية البحرية. فهي لا تحمل استخدام البحر الأحمر أمراً مضموناً. وانكم تستطيع أن تؤثّر في حرية مرور السفن في المحيط الهندي. وأنتم جيوتون تقع جزيرة ريم الحصنة بتدافع البريطانية البعيدة المدى. وهي على بعد ميلين غرب الساحل الآسيوي واثني عشر

مبلاً من الساحل الأفريقي وتستطيع أن تمتع كل بحاروة الانتفاع باب المندب وتجهل قاعدة الشيخ سعيد الفرنسية لانية لها (١)

وشطقة شيخ سعيد التي في جنوب الغربي من شبه جزيرة العرب المشرفة على مضيق باب المندب مرساة حاصلة لأنها تفلو مائة متر عن سطح البحر. وتسمى « جبل طاري فرنسا ». ولقد ارتفعت مرساة منطقة شيخ سعيد بعد احتلال إيطاليا للبحر. لأن هذا الاحتلال جعل لإيطاليا يداً في طريق الهند هذا. واحتلال فرنسا للشيخ سعيد عزز مكانتها في مضيق باب المندب الذي يبلغ عرضه ٢٥ كيلو متراً من الشاطئ الأسيوي إلى الأفريقي أي بين الشيخ سعيد وجيبوتي (٢) وبالقرب من جيبوتي موقع دوشان عظيم يسمى « قبة الخراب » وهو يصلح قاعدة مرساة ومثابة أمانة لتوصات والطائرات البحرية وهذا الموقع جزيرة مستديرة طولها ١٢ ميلاً وعرضها خمسة أميال يصل إليها بواسطة خليج ضيق العمود مياهه عميقة وتكثر أجابته صخور مرتفعة من حجر الجير ذات ريف صبي يمتد ١٤٠٠ ياردة ويضم أربعمائة متر. وقد كانت إيطاليا على وشك وضع يدها على ذلك الموقع لتتبع من الصومال الفرنسي عام ١٩٣٥ لولا امتناع إيطاليا عن تبادل وثائق إبرام الاتفاق. اتفاق موسوليني - لاقول

وعدن إقليم وبناء على الساحل الجنوبي من بلاد العرب في شبه جزيرة صغيرة في مدخل البحر الأحمر. نبت الميناء على موهة ركان خامد. وهناك صخور منحدره يحيط بها مما جعلها أمتع من عقاب الجو. وأعتبر عدن مفتاح البحر الأحمر الجنوبي، مع أنها غير صالحة لرسو السفن الكبيرة وذلك تهديد للقاذفات الإيطالية التي تقمر عليها من ميناء عصب. كما إن الدور الذي كان مفروضاً على الثورين الصخرين زيلع ويرزء أن يقوم به أصبح دوراً ثانوياً

(ثور البحر الأحمر المصري). وقد تكلم عن الثور المصرية المظلة على هذا البحر قول إن طيبة أراضي اشواطها المصرية جبلية بين جزيرة الأشرفي إلى مصوع وكانت هذه الطبيعة تعتبر حاجزاً منيعاً لم يفتحته سوى مفرأ الأنادرأ ومن منافذ ضيقة ولكن مع ما طرأ من التجسس على وسائل النقل البحري والجوي في الأيام الأخيرة قلت قيمة تلك الممرات الطبيعية التي تحت حديد مصر الشرقية الجنوبية منذ اجاب

ويشمل شاطئ البحر الأحمر موالي وجزائر متعددة ذات مناعة طبيعية لها منزلتها

١ - جزيرة بومب سنكاري في البحر الأحمر بعد تسليم فرنسا جزيرة بومب ولا يمكن التنبؤ بما سيكون
 المستمرات من الجزيرة. ثم بعد ذلك سنة ١٩٤٠ من شأنها أن تفيده البحرية في بعد الاستقلال العربي
 ٢ - قد جيبوتي في منطقة المطابع التي بها وهي تكو تكو ركنها لاني في بحريته من الشياطين
 شجيرة وأهمها في البحر الأحمر. وقد ورد في بعض المصادر أن هناك من كان يسميها «مناخاً قوياً»
 المقامع الإيطالية في البحر الأحمر. وقد ورد في بعض المصادر أن هناك من كان يسميها «مناخاً قوياً»

الطرية . وأم تلك الموانئ من ذكرها في كتب الجرافية العسكرية شيء قليل من التفصيل
ولنا نستطيع هنا سوى ان نتكلم باختصار عن كل ما هو في السويس . الفرقة . سفاجة . القصير .
وأم الموانئ السودانية بور سودان وسواكن . ومن الثغور مرسى نعل ويزينس ومرسى
حلايب . ثم ان أهمية الممر بعد الحروب حيد بريرة بينه التراب
فبالترب من السويس تقع اكبر محطات تكرير البترول في ارضية . وهذه المبانى بضم
محطة لتخزين البترول البحرية والجبوية القادمة الى الشرق والذاعية منه

والى جنوب السويس على بعد ١٨٠ ميلاً بمجد ميناء الفرقة وهو محصن تحصيناً طيباً .
يحميه ساحلاً في وقت الحرب ومرفعه في مفرق ثلاثة طرق مهمة اولها الى السويس وثانيها الى قناة
وقالها الى سفاجة . وقد تكون الفرقة محطة هامة للبترول ومنها تمينا للدول لتحويله بالزيت كما انها
قاعدة صيدان جيدة في منطقة البحر الأحمر^(١) . وما يبرز ما لفرقة من شأن وفوقها حد مدخل
خليج السويس فالمدور الذي يستولي على هذا الموقع يسيطر على طريق اتصالات في خليج
السويس بأساطيله وغوصاته ويهدد مديريات الوجه القبلي بسلحه الجوي

(سفاجة والقصير) ويقع ميناء سفاجة في سفح جبال شاهقة وهو محصن تحصيناً طيباً
لاشبه له في الموانئ المصرية ويعد عن الفرقة جنوباً نحو ٤٥ ميلاً بحرياً . وتشرق على مينائه
جزيرة رولية تمتد ٤٠ الميال طولاً و ١٠ الميال عرضاً . وتصلح هذه الجزيرة لأن تكون موقفاً
لمدفعية قوية ابدا المرعى تحمي الميناء من جهة البحر في دائرة واسعة

تصلح سفاجة لأن تكون قاعدة بحرية عظيمة يادي انبها أي أسطول معها تنظم سفنه وكذلك
يصح أن تكون محطة هامة للطائرات البحرية . وقد يكون في الوسع جعل هذا الميناء أكبر موانئ
المصرية في البحر الأحمر وعلى الأخص اذا اتصل بداخلة الوجه القبلي بمدشق الطرق منه واليه
وتقع القصير جنوبي سفاجة على نحو ٤٥ ميلاً بحرياً وهي ميناء مكتشف غير محصن تحصيناً
طيباً ولا تصلح لأن تكون ميناء حربيّاً . ولكي تكون خطاً دفاعياً بحمي مديريات
الوجه القبلي يجب ان توجد بها مدفعية قوية تحميها من النزول البحري . وكانت القصير أهم الموانئ
المصرية قبل الفتح الثماني على رأس الطريق فبالتسرف نقل البضائع التي ترد الى داخل القصر
والموانئ الأوربية . واستمرت كذلك إلى أن كذب طريق رأس الرجاء الصالح . وقد فطن
فابليون الى ما لها من خطير الشأن الحربي في أثناء حملته على مصر . وكانت في أيام محمد
علي باشا من الموانئ المحصنة ولكن بمجرد فتح قناة السويس فقدت ما بقي لها من شأن

(مرقى . شبه جزيرة سيناء) شبه جزيرة سيناء جزء من قارة آسيا .

(١) كتب العلوم المختلفة عن الموانئ البحر الأحمر من مقال في مجلة المجمع بتوفيق من مستشار
« المجمع » نشره منذ عام ونصف

من قناة السويس إلى الخط أنواصل بين رشح على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وبين طابا بالقرب من رأس خليج العقبة . وأهم مدينتها العريش والطور وكانت نخل في يوم من الأيام خاصة سيناء وهي اليوم نقطة مهمة . ثم أبو زينة .

تبعد أبو زينة خمسين ميلاً عن السويس وعلى مسافة ١١ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من جبل حمام فرعون ويحفر بها مياه ضحلة مسافة ثلاثة أرباع الميل في اتجاه جنوب . وهي مقر شركة تمدن سيناء لاستخراج النختر . ويقابلها على الشاطئ الأفريقي مرسى ثمل (Theimel) . وعلى مسافة ١٢٦ كيلو متراً من أبو زينة تقع الطور التي يطلق عليها مفتاح شبه جزيرة سيناء . وهي صالحة لأن تكون محطة للتصوير البحري

كانت للطور مكانة بحارية عظيمة في أعمال التجارة الهندية وكانت مركزاً لوردات الشرق الأقصى وصادراته بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر . ولما كشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح طبقت منزلة خليج السويس (منذ القرن السادس عشر) ثم عادت فارتقت بعد فتح القناة (١) . وكانت بالطور قلعة ترى أطلالها إلى اليوم هي متصلة بطريق عهد بناء السويس (خليج العقبة) نكسنا عن موانئ خليج السويس المصرية . وتحدث الآن عن أهم ما في خليج العقبة من أنوار

تنتع العقبة بمزئين جليبيين جعلنا لها مقاماً ممتازاً . هما موقعا الحربين الحصيد وموقعا التجاري القذا . فهي من الوجهة الحربية تسيطر على الخليج المروف باسمها سيطرة مظنفة تحمل الأسطول الراسي في مينائها آمناً لأن هذا الخليج حصن طبيعي خصوصاً إذا أكل الانسان عمل أنطيمة فزاد في عصبه

والعقبة مفتاح شبه الجزيرة العربية إذا وقعت في أيدي العدو هددت بلاد العرب . ولا يقل موقع العقبة التجاري شأنين موقعها الحربي فهي واقعة على مفترق طرق مصر والعراق والجزيرة وعلى خليجها تلتقي حدود الحجاز ومصر وفرنسطين وشرق الأردن

وكانت العقبة منذ الحروب الصليبية منزلة حربية . وقد حاول أحد أمراء الصليبيين واسمه الفارس رخيانه ذي شانيون الاستيلاء عليها . فاحتلها واعدت اسطولا عوالم بواسطته على مهاجمة المنبر فهدسه في الجزيرة اسرية . وسرعان ما عاد فراره وأبحر من العقبة بعد ما جهز حملته في انشام ووصل إلى جدة واحتلها وسار منها إلى مكة . غير ان نمائيل الصاربية بين جدة ومكة لم يكفه من تحقيق حديق فسطت عليه وأعملت في رجاله القتل ونسب فرجع مهزوماً إلى اسكرك واد رجعتا إلى أربيع العقبة منذ انه صور بواسطة وجد احنا خضعت للسلطان المصري

(١) كتابات عدلت في اصحاه اشرفه وسيناء . تصانغ رامت الجوهري ص ٨٦ — ٩٠

يؤيد ذلك قنصل القنطرة إلى اليوم وهي قلعة محتفظ جدرانها باسم باني القنطرة السلطان تصوة القوي. وتواجه القنطرة بناء طاب الصخرة.

(جزر البحر الأحمر) وبحر الأحمر بعض الجزائر لا شأن كبير لها يسكنها حراس اضارات. ولا يعرف عنها أكثر مما ورد في تقارير البعثات الصعبة التي أوفدتها جامعة مؤاد الأول لدراسة طبائع الحيوانات المرجانية والأعماق والتساقط البحرية. ولكن لا يفوت أن نقرر مكانة هذه الجزائر لأختبارات عسكرية وأهمها: -

الأشرقي وجوبان وشدونان وجفاطين ووزير جد (سنت جون). وفي خليج القنطرة ثلاث جزائر هي تيران وانسانر وفرعون. ويطلق على جزيرة شدوان صخرة جبل طارق مصرًا أو جزيرة كلاب البحر وهي منبعة الموقع جبلية الضيقة تقع في نهاية خليج السويس من الجنوب وتبعد ١٧ ميلاً عن الفردقة شرقاً. وتوسط جوبان مدخل خليج السويس البالغ عرضه ١٢ ميلاً ويبلغ طول الجزيرة ثمانية أميال وعرضها ميلين ونصف ميل في أوسع اجزائها. ويبلغ ارتفاع أعلى تلالها ٩٩٠ قدماً وتقطع تلالها وديان كثيرة وتحيط بالجزيرة شعب مرجانية. وهذه الجزيرة ذات موقع حصين تتحكم في طريق الملاحة الدولي بين الشرق والغرب.

ولذلك لا يجهل أحد خطر شأن موقعها للانتفاع به إلى أقصى حد ممكن في حماية خليج السويس والدفع عن قاعدة الفردقة. فإذا انتفكنا إلى جزر جفاطين وهي خمس جزائر صغيرة وجدناها قاحلة. وهذه الجزائر تبعد عن جزيرة شدوان جنوباً مسافة تفاوتت بين ١٢ إلى ١٧ ميلاً وتقع بعيدة عن الشاطئ المصري بمسافة سعة أميال.

وبالقرب من رأس بناس تقع جزيرة الزرجد (سنت جون) وهي صغيرة مستديرة الشكل ترتفع سبعمائة قدم فوق سطح البحر ويوسطها تل بركاني. وقد كانت الجزيرة في أيامها مقاصب مشهورة بزجاجها ولكن ساعدت ههنا خلال المائة عام الأخيرة.

(جزر خليج القنطرة) عند خليج القنطرة ٩٦ ميلاً ويختلف عرضه من ٧ إلى ١٠ ميلاً وتشرف على شاطئه جبان جريته شاهقة. وتهب عليه رياح عاصفة شديدة في معظم وقت السنة فتعذر الملاحة الشراعية فيه. وتكاد تسد مدخل خليج جزيرة تيران التي تقع إلى الشاطئ الأسبوري بسلسلة من الشعب المرجانية. وهي تبعد مسافة أربعة أميال عن شاطئ شبه جزيرة سيناء.

تبعد جزيرة تيران سعة أو ثمانية أميال طولاً وخصه عرضاً. وتقع في منتصف ساحلها الجنوبي أعلى قمة في الجزيرة يبلغ ارتفاعها سبعمائة قدم. والجزيرة فضها ربي. تتحكم هذه الجزيرة في مدخل خليج القنطرة. ولقدت نصيباً مهماً جداً من وجهة الدفاع السعودية. تتألفها

على الساحل المصري نقطة لا تقل عنها شأناً من الناحية العسكرية وهي منطقة رأس بناس التي تبعد عنها ميلين . وهناك جزيرة الناصر التي تبعد ميلين شرقي نيران . وهي جزيرة كبيرة مستديرة الشكل وفيها مرسى طيب لرسو السفن لأنه في مأمن من الريح الشديدة . وعلى مقربة من سائر جزيرتنا شوشة وبرقان

وعلى بعد ثمانية أميال من القبة تقع جزيرة فرعون ويبلغ محيطها نحو ألف متر وهي مؤلفة من أكتين مغبرتين بينهما فرجة ضيقة . وعلى فني الاكتين خرائب حصن قديم لم يبق منه سوى صريج ماء ومخزن لتلال والسخيرة ومساكن للجنود

(البحر الأحمر والأبراطورية) إن قناة السويس وباب المندب مفتاحا هذا البحر الذي يعتبر مبدأنا من أهم مبادي الضال بين بريطانيا ودولتي المحور . وقد علمنا في مقال سابق منزلة قناة السويس في بناء جامعة الأمم البريطانية^(١) ويعتبر باب المندب باباً حصيناً لصاحبه البحيرة على الداخل الى البحر الأحمر والخارج منه . والمسيطر عليه يقض يده على أهم خطوط المواصلات الأوربية الى الشرق

لقد عيّنت بريطانيا منذ عام ١٩٣٧ بعد اتمام خضوع الحبشة لاطالبا واهتمامها بميثاق عصبة ومصوغ ، تحصين سواحل برغاز باب المندب تحصيناً قوياً حديثاً لتتبع كل قوة بحرية متطرفة من الوصول الى المحيط الهندي مارة بهذا البرغاز اذا اقتضت الحرب ذلك وتلحاصر وتقفضي على أية قوة بحرية متطرفة يمكن أن تفلت من رقابة حصون البرغاز لتدخل البحر الأحمر . والاحتفاظ بهذه السيطرة معناه استمرار سيادة البحرية البريطانية وحدها فقط في هذه المياه الآسيوية الأخرى وقد رأينا بعد اشتراك ايطاليا في الحرب الذائمة كيف أصبحت سفنها الحربية سجينة هذا البحر حتى بعد انسحاب بريطانيا من الصومال وإحلالها من قواتها العسكرية^(٢) وسواء كان البحر الأحمر مكملاً للبحر الأبيض المتوسط ام مستقلاً بجماعته فإنه يعتبر شرياناً حيويماً للأمبراطورية التي يسود نفوذها في الشرقين الأدنى والأوسط

(١) راجع سيد المقتطفات تاريخ نوفمبر ١٩٣٥

(٢) لقد كان البريطانيون أهمي في الامبراطورية بالسياسة وجود عدن وجزيرة سواطر وجزيرة
 وشيخها من متطوعي الجود الانجليز في المحيط الهندي والسياسة . ولكن كما تقول في الصومال البريطاني
 كان حالي ساحلي برجزية . في مصرية أصبحت الى قدامك في الصومال . بل هو من تصوري جديد ان
 سنة ١٩٤٢ - ١٩٤٥ . بعد فتح القائم وروافد فدية مرور وقد أصبحت لجنود تصوري
 من جزيرة سواطر ١٩٤٥ . بعد سقوط الامبراطورية السودانية في الايديولوجيا البريطانية وروافده
 الايديولوجيا البريطانية والبريطانية والبريطانية والبريطانية والبريطانية والبريطانية
 حكومية كالمركز والبريطانية والبريطانية العسكرية والبريطانية والبريطانية والبريطانية
 مبعثه فكذلك بين السودان والبريطانية والبريطانية والبريطانية والبريطانية والبريطانية
 من ١٩٠٠ - ١٩٠٠

عبرة السنة الاولى

من الحرب

في اساعة الثامنة والدقيقة الحين من مساء المجلس الموافق لتاسع من شهر شبينة ١٩٣٩ جلت أمام هذا المذيع . كان أسبوع كامل قد انقضى على بدء اجتياح المانيا نيولونيا و أربعة أيام على اعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا . فقلت في استهلال حديثي في ذلك المساء : في هذه الحرب يتحجم تياران متعارضان من تيارات الاجتياح البشري . أحدهما هو الذيع من القبول بأن للانسان قيمة في ذاته . وان الاجتياح البشري لم يبلغ ما بلغه من مراتب الارتقاء الا باقتلاع الحرية لفرد بفكره وبسنتبطه وبسكنتفه ويعزّم بهض من عزته ويخطئه ثم يصحح خطأه بالتجربة والامتحان . كذلك نشأ كبار الملاسفة والشعراء والعمماء والرواد وكذلك رددو آفاق الجليل وهاجوا سافل أسرار العيبة وفتحوا بعضها لخلقوا بالانسانية رويداً رويداً فوق المستوى الحيواني الوضع ، كما خلق للطائرة نوق أطباق النمام القاتم . هذا التيار انضبط السائر بالانسان من الاستياد للصبغة والحرافة وانطيان نحو الحرية والكرامة هو خلاصة تراث الانسانية من خمسة آلاف سنة من التاريخ المدوّن الى يومنا هذا

وأما التيار الآخر فهو التابع من القول بأن هذا الهيكل البشري آله عياء ، وبإلته آله تامة . فانه في عرف أصحاب هذه الفتنفة الاجتياحية ليس الأستنا في ترمس في آله عياء يديرها طاغية متحجّم لا حد لشهوته ونحكته . واستشهدت بقول الرئيس روزفلت من خطبة له قال : عندما تكرر كرامة الروح الانسانية في بيدان كثيرة وعندما يجعل ذلك الانكار شماراً لدعاية تتحرك بمقتضاها الجيوش . لا يسع أحدنا الاطمئنان الى ان سلامة بلاده أو سلامة داره مضمونة . ويقول بورد ديلاوار : ان هذا التحدي يمد غوراً من مسائل سياسة الفتوة . انه يرد جميع الانكار والمذاهب التي قامت عليها الحضارة الى الوقوف موقف الدعق

وقد دار الزمن دورة كاملة منذ ذمت ذلك الحديث . فبفضت سنة كاملة على لشوب الحرب ، وهذاذا اجلس مرة أخرى أمام المذيع هذه : لأخلص حودث العالم في أسبوع جميع هذه الحوادث بعشر شأنها — وبعضها كالالاتفاق البريطاني الاميركي عظيم الشأن — بالقباس الى ذكرى الفصاء السنة الاولى . على صرح جياورة دائر ، بين نوعين من الجياورة ، وعلى صبره يتوقف استنقل الاسبوع . على ألف سنة من التاريخ . فاذا خذل نوع الجياورة الذي يؤمن به — على ما فيه من نقائص ومساوي ، بحج املاحها — عادت الانسانية على ألف سنة الى الوراء .

وما هو باب هذه الحضارة التي تؤمن بها ٦ نيس لها تقدمها للمادي الصناعي مع اتانير
 . ولا ثروتها التي أفضت بها الى الاستثمار . قنطرة يوجد ذاتها محقرة والاستثمار محفوت .
 ولكن بابها هو خلاصة التراث الذي خلفه لها حضارة من الدول بوية على ما سبق في روع
 شأن الانسان وحرز كرامته . وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية
 كان نصيب فرنسا الكبرى في بناء هذه الحضارة وتثنية روحها الاصلية ، ويند مفكرها
 الأحرار في القرن الثامن عشر وثورتها الكبرى في اواخره . ولباب هذا التصيب تأييدما تعامل
 الانسان من شأن عظيم في بناء الحضارة والانسان مانقن والاصرار على ان للانسان للمفكر
 كرامة في ذاته . وليس هذا بالشيء الجديد في التاريخ . فقد سبقت الحضارة الاسلامية العربية
 اليه عندما كانت في ابلان عرها مبريت العالم والتاريخ بطورها وثورتها ، وهي وليدة هذه الروح
 العالي . ولكن سجة فرون او ثمانية انقضت قبل ان استكشف مفكرو فرنسا هذه الحقائق
 الأساسية مرة ثانية ، وجعلوها عناصر أساسية في نظام فلسفي ، ثم تمكنوا عن طريق الثورة
 الكبرى من جعلها أركان النظام السياسي الاجتماعي

ولا يقل نصيب بريطانيا عن نصيب فرنسا في بناء هذا الصرح العظيم . فبريطانيا ابتدعت
 فكرة الاعتماد المالي (Overlie) وجعلت أساسه الثقة بكلمة المتعاقدين واسكان الاستناد الى
 قول الرجل المستقيم . ثم أنها كانت اندوة الأولى التي أدركت ان السلطان السياسي يشوي
 على شيء أهم من مجرد التبرير عن مصالح الجماعة المشتركة ، ووضعت ادرا كرا موضع التعبد ، وفهمت
 ان السلطان والحرية غير متافين ، وأن في وسع الانسان التمتع بالحرية بغير ان تفسر القوضى ،
 وان الحكومة تستطيع ان تمارس السلطة بغير ان يتم الاستبداد ، أي ان بريطانيا ابتدعت
 مذهب الأحرار في اسولة والاقتصاد وتقدمت به بيمانها التي صرح الحضارة

أما الولايات المتحدة الاميركية فلم يكن نصيبها الأهم في السرى ، عظمت تقدمها للمادي وسمة
 نظامه . بل كان فضل الشعب الاميركي فضالاً متواضلاً ، محم لا معنى أجنحة من البرعة الكفالية ،
 في سبيل تعزيز كرامة الفرد . ربع مسيبي مبيشة . فلولايات المتحدة ما فثقت نسر الى الاصلاح
 الانسان بسببها الى جيل الثامن أصبح أهداة وأجود فوناً وأوفر مرساً ووثقاً ترويضاً والتممة
 الروحية واعقلية . ولولايات المتحدة هي بلاد الارادة والاجتهاد . وبين ما ترها انك كثيرة ،
 يلوح لي ان مثرة الاهتمام بالارتقاء الاجتماعي هي المأثرة التي يجب تسوية لها خاصة عندما
 تذكر بلاد مراكيب (شكلى وفورود في بناء الحضارة الحديث)

وكما نلتنا النظر في هذه لوحات الثلاث نجد ان مادي نفسها وفرغة في وانب مشابهة
 قصة اولاً الذكر الأساسية هي فونها ان مورد لاسباب عبة في حدته . وليس مجرد آلة

أو أداة تحركها قوة طائفة ، لتجميع هذا الفرص ، وذلك ، فانفرد الانسان - بغير وفقاً لهذه
الفكرة ، حيث قيلاً بمنهج الفرد ، أو فرد انساني . ثم نستخرج من هذه الفكرة الأصلية ، القول
بوجوب منح هذا الفرد بضع حريته الأساسية — لكي يتاح له النمو الطبيعي والتروري المنسقي —
أن تطلق له الحرية بمن الأمور ويحكم عليها بنفسه ، وأن يناقش ويبحث . وأن يعرب عن رأيه .
فأخريات المدنية والدينية . هي روح الحضارة الحديثة ، هي نابعها ، لا المخترعات ولا المكتشفات
العلمية ، تطبيقاتها الصناعية . لأن المخترعات والمكتشفات وتطبيقاتها لم تنبع إلا من الاعتراف
بكرامة اسبق وحريته الانسان

فروح الحضارة الحديثة الذي يؤس به ، حر مطلق كالجداول او كالمسحة . وهذا الروح
لا بد أن يموت عندما تتحلل الحضارة عن هذه الحريات ، لأنها جزء لا ينفك عن الحياة
التي تنفس . عند ذلك نحمد انواع المولدة ابتداء التي رفعت تلك الحضارة الى درى المنظمة
العلمية والصناعية وتعدو وكأها جهاز كسر محركه أو جسم فقد روحه وسر الحياة فيه

ونسكن ماذا يحدث إذا سيطر على العالم ، على الاجتياح انبشري ، سلطان يستمد وحيه من
مبدئي (الزعامة المطلقة) وه لكيفية الكاملة — وهما ركنا التازية وانقاشية ؟ وليس هذا السؤال
في منزلة الفرض او اوهام . فلنأبنا وحديثها — أو قل ألمانيا وحدها — نحارب تنفوز هذا
السلطان . وليس بين انكسار الدين عرفوا باصالة الرأي ، وتبصروا الخطأ التازية ،
وتكسفا ، من يشك في أن حدود تلك الخطأ لا تنحصر في اوروبا وحدها

ليس نمة ريب في أن علماً تسيطر عليه ألمانيا التازية ، وتشرف على تنظيمه ، سيختلف
اختلاقاً بين اساسياً عن نظام العالم الذي ألقاه البشر في القرن التاسع عشر ومستهل القرن
النشرين ، وهو تنظيم بشري كان يستمد وحيه ، أو بدأ يستمد وحيه ، وبشء قواعده على
أساس الهادي ، التي تقدم ذكرها ، وه الاعتراف بكرامة الفرد ، واحترام العقل ، ونبأ ،
دماملات لناس على ثقافة . والتمع بالطرية بغير فوضى ، وممارسة السلطة بغير استبداد ، والنسي
الى رفع كرامة الفرد ، الى مستوى مبعثه

انت اشك في اننا نعلمه السيادة لألمانيا بكفاءتها المعروفة ، وتطبق في الأساس
الصناعية لألمانية التازية . وه المحركة برداد في الاشج زديداً عظيماً . وليس بين الذين تلمسوا
ارتقاء ألمانيا لصناعي منذ اواخر القرن التاسع عشر إلا واستوقف نظره . ذلك انجابه ، مشهد
الكفاءة في التنظيم الهادي . مشهودة في قناة واحدة وموجبهة الى فرض واحد . ثم اني أعلم أن
التجربة الصالحة مساوية . وه عندما تطلق الحرية للفرد ليعمل وفقاً لرجته وأبداعه لحو فزم
المنجابه . ويخرج مها كرك . بل ناجية لأصعرب . ونسكن في ظل هذا النظام الألماني ، مستنظم

كل حركة وكل سكة من حركات كل فرد وسكاته ، لخدمة غرض واحد ، ولن يسمح لأحد بأن ينفق ذرة من نشاطه وجهده إلا في سبيل ذلك الهدف . إن صورة العالم في ظل نظام كهذا ليست على الاستعجاب ، لو لم تكن الصورة تحتوي على موهبي ضئيل فيها

ذلك أن تحقيق هذه الصورة يقتضي من البشرية نمواً فحشاً . وهو يتجاوز عن كل شيء له صلة بالحياة الحرة القائمة على أساس احترام الفرد وعقله وشخصيته . فجميع وجوه التنافس الإنساني ، في عالم كالعالم الذي وصفت ، معيئة تهيئة عسكرية موجهة في قناة واحدة ضيقة ، نحو هدف واحد . فصورة البشرية الحرة التي يساوي فيها الناس في الاحترام الواجب لهم لأنهم بشر تم بتفارت هذا الاحترام وفقاً لبناي المواهب والتجارب في استخدامها ، فنقي ونهار ، ونحن عملها صورة إنشورية مقيدة بقيد حديدي ثقيل ، صورة الناس ومصائرهم في أيدي فئة قليلة من «المتفوقين» أو من الذين يحسبون أنفسهم متفوقين ، فيستنون الجماهير لأن هذه الجماهير خلفت في نظرهم من جيلة أدنى وأحر من جيلة الأسياد

هذا النظام يقضي حتماً إلى زيادة الإنتاج ولكنه يشل انكار مثل اسانية عالية هي ناب الحضارة كما فهمها . وهل الهدف مما يتحقق هذه التضحية المعظمة في سبيله

يؤخذ من أقوال الناس فخذوا إلى حقيقة الأهداف البعيدة التي يتوخاها زعيم الوطنية الاشتراكية ، ومن بعض الأعمال التي تمت حتى الآن في البلدان التي أخضعت بالقوة أو بالتهديد بها في أوروبا ، إن النظام الاجتماعي الذي ينتظر فرضه على العالم هو نظام هرمي اشكالي . فقد كان المهرنتلر لهرمس روشنتج إنهُ لا يعرف حضارة تستطيع أن تقوم على غير أساس الشيوعية واذن يجب ابداع اشكال جديدة من الشيوعية . فقد كانت الشعوب المنقوبة وأسرى الحرب عبيداً لتفاحين منذ العصور الأولى . أما في المستقبل فالقومييات المنقوبة على أمرها يجب أن تكون الطبقة السفلى في الاجتماع الوطني الاشتراكي وعلى عواتقها تقع مهمة القيام بالأعمال الزراعية والصناعية التي لا تحتاج إلى التفاني مني . ولا يكون لها حقوق ما . وفوق طبقة هؤلاء تكون طبقة الأثنيين وحلفائهم ومنهم يؤخذ الملمان المثقون والمديرون وموظفو الحكومات . فوق هؤلاء تقوم طبقة خاصة من أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي ، ومنهم يجند جيش انذورة . وعلى قمة هذا الهرم الانساني تقوم طبقة لاشراف الجدد ، طبقة النخبة الوطنية الاشتراكية وهي طبقة الحكام المتدينين بالحربة المتصنفة والحكارة السلطان — هذه هي طبقة الأسياد

هذا هو الهدف البعيد . والاشكالية في سبيل تحقيقه يجب أن تقام بميانه فالكفاه ، ست يجد ذاتها هدفاً اجتماعياً شئني بطلب لذاته . وانما هي وسيلة إلى غاية . ونحن عندما نتحدثنا ونعظم بعدها أخصر وأفضل طريق لي لتحقيق رغبة .

فالكفاية بقياس نية الأسلوب ونستبحر مجاله مقياساً بنفسه الهدف . فقد أتوسل بكفاية ممتازة إلى تحقيق هدف سابق . الهدف الأجل الذي تسعى إليه الآلات ينفذ ، واسئولة كذلك ، ما نفي من ذلك ما كتب القلائص جمهوريته ، المدن الاجتماعية . فسكفة به مما تبلغ من الاحكام والتكال لا يسوعها مشروع في تكون ، ذاكات وسيلة إلى هدف غير عادل .

وأقن ، بل أوتى . ان نظرية « الأسياد الجديدة » لا يمكن ان تفرحان ما هدفاً اجتماعياً عادلاً للإنسانية . وادن يجب ان رفض الهدف وكفاية الوسائل المستخدمة في سبيل تحقيقه وهذا لا يعني ان النظام المقابل لنظام « الأسياد » مزه من كل خصم ، وان لا اجتماع الذي بني في ظله حال من كل فساد . كلا . وإنما يعني ان هذا النظام ينطوي - بحسب البداى التي هي روحه ولبابه - على امكان الإصلاح ، وادن فهو ينطوي على مثل أعنى تصطب إليه الإنسانية ونسى جهدها إلى تحقيقه منزهة ، مضطربة ونكها اهداً ساعة فأرجح تيمى وعيادها في انهاء وكذلك تزون أنه وقد انقضت سنة كاملة منذ نشبت هذه الحرب الطاحنة بدأ يتضح لنا ، ان العالم واقف بين حضارتين كأنهما نظط الزعامة العالمية روحها . وعلى العالم ان يختار

والمسألة بهذا الوضع ، ليست مسألة أوربية محسرة ، بل هي تهم جميع الأمم التي خارج أوروبا كذلك . وعلى وجه خاص الولايات المتحدة الأمريكية ، لأنها بيت جانها الخاصة والعالمية ، على مبدأ كرامة الفرد ، واحترام العقل ، واقامة الميزان بين الحرية والسلطان ، بين حق الفرد والواجب عليه . ولذلك فهي مسألة عالمية الطاق ، وهذا التفسير يخرج الصراع الدائر الرسمى الآن من نطاقه الأوربي إلى نطاقه العالمي .

وليس أدن على صحة هذا القول الأخير ، من عقد الاتفاق البريطاني الأمريكي ، وهو أمر حوادث الأسبوع الماضي ، ولعله من أهم حوادث الحرب حتى الآن . لما ينطوي عليه من تأثير مباشر ومغزى بعيد . أما تأثيره المباشر فتعزيز الاسطول البريطاني بحسين مدمرة أميركية ، وأما دلالة فهي ان الشعب الأمريكي ليس واقفاً بمنزلة عن هذا الصراع العالمي ، وأما تعزيزه البعيد فهو حياض هذا الاتفاق خصوصاً أولى نحووع من الاندماج الديموقراطي هو أمل العالم بعد الحرب . وقد أشار المشر انترشل في خطبه الأخيرة الجامعة إلى هذا فقال : « ولا ريب في ان هذا العمل يعني ان هذين الديمقراطيين العظيمين . عليهما ان تتزجا وتشركا قليلاً في بعض شؤونهما وذلك منسحة ترفيقين وتصلحة انامة » ثم قال : « انه لا ينظر إلى هذا العمل بشيء من الرعب او الحرج . وليس في وسعه ان يقفه لو شاء ذلك . وليس في قدرة أحد ان يقفه . انه كسور انسيبي يمضي في حروبه . فيبحر دائماً زائحراً مندفعاً إلى ان يبلغ مروجاً أنصر وأياماً أزهره » وإذا كان في هذا الاشتراك والاندماج نواة لاشترك أوسع واندماج أعين ، فسنلنا لا نحسر السلم مرة أخرى بعدد مكسب الحرب